دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الصراع العثماني الصفوي و نتائجه السياسية و العسكرية
المصدر:	مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط (جامعة الأزهر) - مصر
المؤلف الرئيسي:	السعدني، أبو ورده عبدالوهاب عطية
المجلد/العدد:	ع 13
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1993
الصفحات:	250 - 298
رقم MD:	150207
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	ACI, AraBase
مواضيع:	الجوانب العسكرية، العصر العثماني، الدولة الصفوية، الصراع السياسي، الأحوال السياسية، إسماعيل الصفوي، الأحوال الإقتصادية، الفرس، موقعة جالديران، سليم الأول ، السلطان العثماني، الوثائق التاريخية، الأحداث التاريخية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/150207

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الصراع العثماني الصفوي
ونتائجه السياسية والعسكرية

اعـــداد

الدكتور/ أبو ورده عبد الوهاب عطية السعدنى
مدرس التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية
جامعة الأزهـــر بأســيوط

تمهـــيد تــاريخى :

انفرط عقد دولة السلاجقة فى الأناضول على يد المغول فى أواخر القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ، واقتسم حكام الأقاليم وأمراء الحدود أراضــيها ، وكان عثمان الأول رئيسا لاحدى العشائر التركية القاطنة على الحدود الغربية ، ثم تبوأ منصب « أمير حدود » فى عهد الســلطان : غياث الدين كيخسرو (٦٦٣ ــ ٦٨٢ هـ/ ١٢٦٤ ــ ١٢٨٣م)(١) ٠

---

(١) حكمت دولة السلاجقة فى بلاد الأناضــول من ســنة ٤٧٠هـ ــ ١٠٧٧م ، الى أواخر النصف الثانى من القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ، انظر : دكتور : أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدولة الاسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ، جزءان ، دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٧٢م ٠ ج١ ص ص٣٢١ـ٣٣٢ ٠

وعلى عهد الأمير عثمان (٦٨٧ ــ ٧٢٦هـ / ١٢٩٩ ــ ١٣٢٦م) ، وفى وقت مبكر ، تحدد الوضع الدينى والعسكرى والسياسى للاتراك العثمانيين ، فقد اعتنق هذا الامير الدين الاسـلامى ، وتبعه الأتـراك العثمانيون ، وكانت عقيدتهم الدينية ــ قبل ذلك ــ غير واضحة تماما ، ويحتمل أنهم كانوا فى حالة تحـول من الوثنية أو من عقائد أخـرى الى الاسلام ، وتوجد فى الحوليات العثمانية روايات عديدة حول كيفية اعتناق العثمانيين للدين الاسلامى ، لا يتسع المجال لذكر تفاصيلها(٢). الا أن الذى يعنينا ذكره : أن صـلات العثمانيين الوثيقة بدولة الأتراك السلاجقة الأناضول ــ وهى دولة اسلامية سنية ــ كانت عاملا هامـا ساعد على اعتناقهم الدين الاسلامى، واتباعهم للمذهب السنى فى سهولة ويسر (٣) .

---

(٢) انظر : محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانيه . تحقيق الدكتور : احسان حقى ، الطبعة السادسة ، بيروت ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م صص١١٥ـ١١٦ ، دكتور : عبدالعزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليهـا ، أربعة أجزاء ، الأنجلـو المصرية ، القاهرة ١٩٨٠م ــ ١٩٨٣م ، ج ١ ص ص ٣٦ ــ ٣٨ .

(٣) دكتور : عبدالعزيز محمد الشناوى : المرجع السابق ، ج ١ ص٣٨ ، هذا الى جانب وجود الذميين بكثرة ضمن رعايا الدولة العثمانية ، خاصة بعد أن أتم الله على أيديهم فتح القسطنطينية العظمى سنة ٨٥٧هـ ـ ١٤٥٣م ، الأمر الذى فرض على العثمانيين ضرورة رفض المذاهب الاخرى حتى يظل مجتمعهم الاسلامى متماسـكا ، بعد دخول أعداد لا تحصى من المسـيحيين فى الاسـلام ، انظـر : هاملتون جب ، وهارولد بووين : المجتمع الاسلامى والغرب ، ترجمة دكتور : أحمد عبدالرحيم مصطفى ، جزءان ، الهيئة المصرية العامـة للكتاب ، القاهـرة سـنة ١٩٩٠م ج٢ ص٤٣٣ .

وعلى ذلك ، فقد تحدد الاسلام عقيدة دينية رسمية للأتراك العثمانيين ، وسار عثمان فى حكمه على هدى ايمان عميق وبساطة فى الدين ، وكان متحمسا لعقيدته الدينية وأخضع حكمه لمشورة فقهاء المسلمين ، وكان للاسلام أثر عميق فى مستقبل العثمانيين لا يقل عن الأثر الذى تركه الاسلام فى عرب شبه الجزيرة العربية قبل العثمانيين بسبعة قرون ، فقد هيأ لهم وحدة فى العقيدة ، وعبأهم بشعور دينى دافق ، جعلهم جد متحمسين للاسلام ، واجتمعت الى هذه العاطفة الدينية الجياشة روح عسكرية طاغية بحيث غدت سمة بارزة فى الأتراك العثمانيين (٤) .

ومن جهة أخرى ، فقد تجمعت عدة عوامل عجلت بنمو الامارة العثمانية لتتبوأ مكان الصدارة بين جيرانها ، وتصبح دولة مهيبة الجانب فى مطلع القرن الثامن الهجرى ، ولعل أهم هذه العوامل :

أ) غلبة العنصر التركى المسلم فى منطقة متاخمة لحدود الدولة البيزنطية .

ب) ضعف الامارات التركيه الأخرى وتناحرها(٥) ، الأمر الذى أتاح للعثمانيين فرض السيادة على منطقة الأناضول بأسرها فى فترة وجيزة .

---

(٤) دكتور : عبدالعزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية : مرجع سبق ذكره ، ج١ ص٣٨ .

(٥) زاد عددها على ست عشرة امارة (انظر : دكتور : أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية .. مرجع سبق ذكره ج٢ ص ص٣٨٩ـ ٤٤٠) .

جـ) ضعف الدولة البيزنطية وانشغالها فى حـروب مستمرة مع الدول البلقانية المجاورة(٦) •

د) انقسام العالم الاسلامى الى دويلات صغيرة متناحرة ، كانت أقواها دولة المماليـك فى مصر والشام •

وهكذا لم يكد ينتصف القرن الثامن الهجرى ، حتى كانت قـد أرسيت دعائم دولة اسلامية فتية ، قيض لها أن تتسلم لواء الجهـاد الاسلامى فى الأناضول ، فان جهاد العثمانيين امتدادا لجهاد المسلمين الأوائل فى صـدر الاسلام ، وفى العصرين الأموى والعباسى ، ولـم يقف جهادهم عند حدود الأناضول ، وانما تعداه الى الجبهة الأوربية المسيـحية •

وعلى الرغم من أن العثمانيين قد تعرضوا لنكبات قوية ، كـانت أقساها وأشدها ألمـا ، هجـوم المغـول بقيـادة « تيمور لنك »(٧) على الدولة العثمانية ، فى عهد بايزيـد الأول ــ يلدرم أو الصاعقة ــ (٧٩١ ــ ٨٣٤ هـ / ١٣٨٨ ــ ١٤٠٢ م) وأسره ووضـعه فى قفص ، ومحاولة تيمور لنك تفتيت أملاك العثمانيين ، بجعل أبناء بايزيد الأول

---

(٦) دكتور : عبدالعزيز محمد الشناوى : اوربا فى مطلع العصور الحديثة ، دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٦٩م ص‌ص٥٦٦ـ٥٧٠ •

(٧) تيمور لنك : قائد مغولى اشتهر بالعنف والتخريب ، ولد سنة ٧٣٨هـ‍ـ١٣٣٦م بالقرب من سمرقند ، ومات بها أيضا سنة ٨٠٧هـ‍ـ١٤٠٥م •• وحكم فى الفترة من ٧٨٦هـ‍ـ١٣٨٤م ، ٧٩٥هـ‍ـ١٣٩٣م ، انظر : دكتور أحمد أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية •• مرجع سـبق ذكره ، ج٢ ص٥٥٩ـ٥٦٢ •

حطام أقاليم من قبله(٨) ، الا أن العثمانيين سرعان ما ضمدوا جراحهم ، فلموا شملهم ، واستعادوا قوتهم وحيويتهم ، خاصة فى عهد السلطان مراد الثانى (٨٢٤ ـ ٨٥٥ هـ/ ١٤٢١ ـ ١٤٥١م) ، الذى تمكن من جمع الصفوف ، واعاد الجهاد الاسلامى العثمانى الى سيرته الأولى ، فضمت فتوحاته معظم أجزاء البلقان : مقدونيا ، والمورة ، والأفلاق ، وبلغاريا ، الصرب ، والمجر(٩) .

وأتم الله نعمته على العثمانيين ، ييسر لهم تحقيق أمل طالما راود المسلمين الأوائل منذ فجر الاسلام ، بفتح القسطنطينية العظمى ـ عاصمة الدولة الرومانية الشرقية ـ سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م ، لما لموقعها الجغرافى من أهمية تجارية واستراتيجية ، ولما لمركزها الحضارى من مكان الصدارة فى العالم المسيحى ، ولله در أمير الشعراء ـ أحمد شوقى ـ الذى وصف هذا الفتح المبين بقوله(١٠) :

قد جاءها الفاتح فى عصبة
من الأسود الركع السجد
رمى بهم بنيانها مثلما
يصطدم الجلمد بالجلمد

(٨) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية .. مرجع سبق ذكره ص ص ١٤٦ ـ ١٤٨ ، وانظر أيضا : ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية فى تاريخ العلية ، الطبعة الأولى ، القاهرة سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م ص ص ٤٩ ـ ٥١ .

(٩) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٥٣ ـ ١٥٩ .

(١٠) أحمد شوقى بك : الشوقيات ، أربعة أجزاء ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة سنة ١٩٧٠م ج٢ ص٢٦ .

واستبدل السلطان محمد الفاتح (٨٥٥ — ٨٨٦هـ / ١٤٥١ — ١٤٨١ م) باسم القسطنطينيه أسما اسلاميا جديدا هو : « استانبول ، أو اسلامبول » ، وهى كلمة تركية معناها دار الاسلام ، ونقل عاصمة دولته اليها ، وصارت استانبول — منذ ذلك اليوم الميمون الأغر — عاصمة الدولة العثمانية الاسلامية(١١) زهاء أربعة قرون ، ومركزا اسلاميا وحضاريا هاما ، شأنها — فى ذلك — شأن العواصم الاسلامية على مدار التاريخ الاسلامى ، ومن جهة أخرى ، فقد أضفت الانتصارات العسكرية الرائعة ، التى أحرزها العثمانيون على الأوروبيين هالة من المجد فى أرجاء العالم الاسلامى ، حتى انهم اعتبروا أى نصر عسكرى تحققه القوات العثمانية على الدول الأوربية ، انما هو نصر للاسلام وهزيمة للمسيحية(١٢) •

وبينما كان العثمانيون يرفعون لواء الجهاد الاسلامى عاليا فى الجبهة الأوربية المسيحية ، اذا بهم يواجهون خطرا اسلاميا من جهة الشرق ، وهو خطر الصفويين الشيعة فى فارس ، الذين تطلعوا الى حكم العالم الاسلامى ، ونشر المذهب الشيعى بالقوة والعنف •

الصفويون فى فارس :

ظهر الصفويون على مسرح الحياة السياسية فى فارس ، فى مطلع القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) ، عندما تمكن الشاه اسماعيل الصفوى (٩٠٧ — ٩٣٠هـ / ١٥٠٢ — ١٥٢٤م) من

---

(١١) دكتور : عبدالعزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية — مرجع سبق ذكره ج١ ص٦٣ •

(١٢) المرجع السابق ، ج١ ص٤٥ •

دخول « تبريز »(١٣) عاصمة دولة لآق قوينلو التركمان السنة(١٤)، سنة ٩٠٧هـ /١٥٠٢م ، ويعد الشاه اسماعيل أول حاكم صفوى مستقل، والمؤسس الحقيقى للأسرة الصفوية .

ويرجع نسب الصفويين الى اسرة آرية كانت تعيش فى أردبيل — وهى مدينة تقع شرقى اقليم آذربيجان قريبا من بحر قزوين — وتصف الكتب التى أرخت للصفويين نسب اسماعيل الصفوى الى جده الأكبر الشيخ صفى الدين الاردبيلى (٦٥٠ — ٧٣٥هـ) ١٢٥٢ — ١٣٣٥م) ، الذى استطاع أن يجمع حوله رهطا من العشائر التركمانية حديثة العهد بالاسلام ، فتحلقوا حوله وكثر عددهم بمرور الأيام ، لا سيما بعد أن ادعى أن نسبه يصل الى الامام الحسين بن على — رضى الله عنهما — (١٥) ، واستمر أبناؤه وحفدته — من بعده —

---

(١٣) تبريز ، تقع فى الشمال الغربى من ايران بالقرب من الحدود التركية (دكتور : احسان حقى : تحقيقه على تاريخ الدولة العلية ٠ مرجع سبق ذكره ٦٢ حاشية ٤) ٠

(١٤) الاق قوينلية ، أو أصحاب الخراف البيضاء : عشيرة تركمانية كبيرة ، هاجرت من تركستان الى آذربيجان ، ثم الى نواحى ديار بكر ، ثم سكنت — فى النهاية — فى الأراضى الواقعة بين آمد والموصل ، وكونت دولة حكمت فارس والعراق من سنة ٨٠٦هـ-١٤٠٣م ، وانقرضت نهائيا فى سنة ٩١٤هـ-١٥٠٨م (دكتور : أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ٠٠ مرجع سبق ذكره ٢ ص ص٥٣٨-٥٤٢) ٠

(١٥) المرجع السابق ، ج٢ ص ص٥٤٤-٥٥١ ، وانظر — أيضا — دكتور : مصطفى رمضان العالم الاسلامى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة ١٩٨٣م ص٧٠-٧١ ٠

في توثيق علاقاتهم بالقبائل والاتباع – واضطر حاكم « شيروان »(١٦) بطرد « الجنيد » – حفيد صفي الدين الأردبيلي – من بلاده ، بسبب ما ينشره بين الناس من بدع وخرافات ، فلجأ الجنيد الي حسن الطويل (٨٧١ – ٨٨٢ هـ / ١٤٥٣ – ١٤٧٨م) – حاكم دولة الآق قويتلو – ، وعاش هو وأبناؤه ودفنته في كنف هذه الدولة بمدينة أردبيل ، ، ثم انتقلوا منها الي « جيلان »(١٧) حيث وجدوا أتباعهم كثرة ، وكان من بين هؤلاء الأحفاد « اسماعيل » الذي بدأ يجمع أتباع جده مع العشائر التركمانية وشيعة فارس ، وتمكن من الحصول على ولاء هذه العشائر وخضوعها لسيطرته ، فأطاح باثنى عشر أميرا ، في مقدمتهم حاكم « شيروان » الذى كان قد قتل والده الشيخ « حيدر »(١٨) ، فأحرق جسد خصمه حاكم شيروان ، وأقام برجا من رؤوس القتلى ، وتعدت وحشيته الأحياء الى الأموات ، فنبش قبور حكام شيروان ومثل برفاتهم(١٩) .

---

(١٦) شيروان : تقع فى المنطقة الشمالية الغربية من ايران (دكتور : احسان حقى : تحقيقه على تاريخ الدولة العلية .. مرجع سبق ذكره ، ص١٨٨ حاشية ١) .

(١٧) كيلان ، ويكتبها العرب جيلان : بلدة فى ايران تقع جنوب بحر الخزر (المرجع السابق ص ٢٢٢ حاشية ٢) .

(١٨) جدير بالذكر أن الشيخ حيدر – والد اسماعيل – هو الذى نسبت اليه الدولة الصفوية ، لأنه أقام منفيا فترة طويلة فى جبل يسمى جبل الصوف المزاحم لمدينة انطاكية ، فنسب اليه واطلق عليه « حيدر الصوفى » ، انظر : الغزى (الشيخ نجم الدين) : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، ثلاثة أجزاء ، تحقيق دكتور : جبرائيل سليمان جبور ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٧٩م ، ج٣ ص١٣٥ .

(١٩) دكتور : مصطفى رمضان : العالم الاسلامى .. مرجع سبق ذكره ص٧٥ .

واشتد ساعد اسماعيل ، فتوجه الى تبريز – عاصمة الآق قونيلو – ودخلها سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠٢م دخول المنتصرين ، وتصرف بقسوة شديدة نجاه خصومه ، فقطع أوصال أعداد لا تحصى من الرجال والنساء والأطفال ، وقتل فى هذه المذبحة الجماعية أكثر من عشرين ألف شخص ، ثم أمر باخراج جثث العديد من رؤساء أعدائه من القبور وأحرقها ، الى غير ذلك من ضروب الفظائع التى تقشعر لهولها الأبدان ، وأعلن اسماعيل نفسه – فى تبريز – ملكا على فارس ، ولقب نفسه بلقب « المظفر شاه اسماعيل الهادى الولى ؟ : »(٢٠) ، وادعى الربوبية وأمر أتباعه بالسجود له من دون الله(٢١) وجعل التشيع مذهبه الرسمي ، وقرر أن ينشره الى أقصى درجة ممكنة ، وسرعان ما أخضع عددا من الدول الصغرى المجاورة ، وتجاوزت جيوشه – فى سنين قليلة – خراسان ، وتقدمت حتى بلغت«هراه»(٢٢) ثم تطلع الى الاستيلاء على العراق طمعا فى خيراته ، ولأنه يضم مقابر ومزارات الشيعة فى النجف وكربلاء « المزارات المقدسة » فدخلت جنوده مدينة بغداد سنة ٩١٣هـ/ ١٥٠٨م)(٢٣) ، وكان من الأعمال

---

(٢٠) المرجع السابق ، ص٧٦ ٠

(٢١) القلعاوى (مصطفى بن محمد بن يوسف الصفوى) : صفوة الزمان فيمن تولى على مصر من أمير وسلطان ، مخطوط بمكتبة رفاعة رافع الطهطاوى بسوهاج رقم ٥١ تاريخ ، ورقة ١٢٢ ٠

(٢٢) هراه : مدينة ببلاد فارس قرب اصطخر ، كثيرة البساتين والخيرات (القرمانى ، أحمد بن يوسف) : اخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، بيروت سنة ١٢٨٢هـ ، ص٤٩٤ ٠

(٢٣) دكتور : عبد العزيز سليمان نوار : تاريخ العراق الحديث ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م ص٦٠٥ ٠

الأولى للمعتدين ذبح أئمة السنة الموجودين ، ونبش قبور المشايخ الغابرين واخراج عظامهم واحراقها ، وأحرق المصاحف وكتب العلم(٢٤) الى غير ذلك من الجرائم والفظائع التي لا تقل أثرا عن تلك التي ارتكبها المغول أثناء هجومهم الوحشي علىعاصمة الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ، فكانت وصمة ذات صدى قوي في بلاط السلطان العثماني ، خاصة وأن أمراء تلك المناطق المكوبة كانوا قد فروا من وجه الصفويين الى السلطان العثماني يستنجدون به ، كما أن سقوط العراق في يد الصفويين هدد قلب الدولة العثمانية ، وأوجد الى جانبها قوة فتية ذات أهداف مذهبية امبراطورية توسعية •

وهكذا تمكن الشاه اسماعيل الصفوي من فرض سيطرته على بلاد فارس ومعظم بلاد العراق ، على جثث القتلى وأنات الجرحى ، وفرض على جنوده لباسا يجمع بين لباس الزراد شت ولباس الفرق المبتدعة في أردبيل ، حيث يتكون من أثنتي عشر ثنية حمراء ، تمثل كل واحدة منها اماما من أئمة الشيعة الأثنى عشر ، ومنذ ذلك الوقت صار أتباع الصفويين يعرفون باسم « القزلباش » : أي ذوي الرؤوس الحمراء(٢٥) واشتط الصفوي في تصرفاته وأطماعه التوسعية على حساب جيرانه — خاصة العثمانيين — الأمر الذي أدى الى الصدام المسلح بين الدولتين ، والذي تمخض عن نتائج هامة وخطيرة انعكست آثارها على العالم الاسلامي •

---

(٢٤) القلعاوي : مصدر مخطوط سبق ذكره ، ورقة١١٢ •

(٢٥) دكتور : مصطفى رمضان : العالم الاسلامي •• مرجع سبق ذكره ، ص٧٣ حاشية ٢ •

عوامل الخلاف بين العثمانيين والصفويين :

اتبع الشاه اسماعيل الصفوى سياسة توسيعية عدوانية ضد الدول الاسلامية المجاورة له ، فقد هجم بجيشه على « آزبك خان » — ملك التتار — وقتله ومثل بجثته واتخذ من جمجمة رأسه كأسا يتجرع فيها الخمر فى جلساته الخاصة والعلنية(٢٦) ، وتهديداته لسلطنة المماليك فى مصر كانت دائمة ومتكررة وأغار على حدودها الشرقية غير مرة(٢٧). وعاصره — فى بداية حكمه — السلطان العثماني بايزيد الثانى (٨٨٦ — ٩١٨ هـ / ١٤٨١ — ١٥١٢ م) — وكان رجلا مسالما محبا للأدب والفلسفة غير ميال للصدام المسلح باسماعيل — فأرسل اليه سفيرا هنأه بفتح فارس والعراق ، وعرض عليه اقامة علاقات أخوية بين البلدين ، كما استجاب لطلبه بالسماح لمريدى الصفويين بزيارة أردبيل — المقر الروحى لشيوخهم وكانت تابعة للعثمانيين فى تلك الفترة(٢٨) الا أن تلك المبادرات الطيبة التى أبداها العثمانيون لم تجد من الشاه اسماعيل الصفوى أذنا صاغية أو قلبا واعيا ، يدرك أهمية الترابط والتماسك الاسلامى خاصة ابان تلك الحقبة الهامة من حقب

---

(٢٦) ابن اياس (محمد بن أحمد) : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، خمسة أجزاء طبعة مصورة عن الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة سنة ١٤٠٢هـ-١٤٠٤م (١٩٨٢م-١٩٨٤م) ، ج٤ ص٢٢١ ، وانظر — ايضا — القرمانى : أخبار الدول مصدر سبق ذكره ، ص٣٣٣ .

(٢٧) ابن اياس : مصدر سبق ذكره ، ج٤ ص٣٩، ١٨٨، ١١٢، ١٢٣، ١٤٤، ١٤٥، ٢٥٧، ٢٦٢، ٢٧١ .

(٢٨) د : مصطفى رمضان : العالم الاسلامى .. مرجع سبق ذكره ، ص٧٦ .

التاريخ الاسلامى ، بعد أن تمكن البرتغاليون من الالتفاف حول العالم الاسلامى للقضاء عليه اقتصاديا ، وايقاف مده وانتشاره ، بعد أن فشلوا فى تحقيق ذلك عسكريا .

ويمكن ايجاز عوامل الخلاف بين الدولتين العثمانية والصفوية فيما يلى : ـ

أولا ـ المصالح الاقتصادية الفارسية فى الأناضول :

تعد الأناضول ـ من قديم الزمان معبرا تجاريا هاما بين أوربا وآسيا ، فكانت القوافل التجارية تمر عبر الوديان التى تتخلل جباله العالية ، حتى تصل الى شواطىء البحر المتوسط ، حيث تقوم أساطيل البنادقة والجنويين بتوزيع البضائع على مختلف أنحاء أوربا ، فاذا عرفنا أن الحرير الفارسى كان ينقل من تبريز الى أوربا عبر الأراضى العثمانية ، لأن الدولة الصفوية قامت دولة داخلية لا شواطىء لها تطل على أوربا ، وأن الدولة العثمانية قد قامت فى الأناضول ، وكانت فى يدها مقاليد التجارة العابرة من أوربا الى الشرق وبالعكس ، اذا عرفنا ذلك أدركنا الأهمية الاقتصادية للأناضول بالنسبة للصفويين .

وعلى الرغم من تحويل جزء كبير من التجارة عن هذا الطريق ـ بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح فانه لم يفقد أهميته لدى الفرس وغيرهم ، لقربه من بلاد البلقان وأوربا الوسطى ، ولقلة تكاليفه نسبيا ، وجاء استيلاء العثمانيين على القسطنطينية وسيطرتهم على المضايق ومعظم سواحل البلقان وجزره الهامة ، واعلان حكم

القوم(٢٩) الطاعة والولاء للدولة العثمانية ، ذل ذلك حرم البنادقة والجنويين وغيرهم مما كانوا يحصلون عليه من ضرائب رسوم على البضائع الفارسية ، ناصبوا فى مقتل وراحوا يبحثون لهم عن حليف قوى ضد العثمانيين ، ووجدوا ضالتهم المنشودة فى الشاه اسماعيل الصفوى الذى تمنى أن يكون له منفذ الى أوربا ، فعرضوا عليه الاتفاق ضد الدولتين العثمانية والمملوكية ، بحيث يهجمون على أملاكهما من جهة البحر ، بينما يزحف هو بجيشه من جهة البر(٣٠) ، واضطر السلطان بايزيد الثانى الى مصالحة سائر الحكومات فى أوربا(٣١) حتى ان الجبهة الاوربية ــ ابان عهده ــ لم تشهد قتالا يذكر .

---

(٢٩) بنوقرامان : من ورثة دولة السلاجقة فى الاناضول ، فى الفترة من ٦٥٤هـ ــ١٢٥٦م ، الى سنة ٨٨٨هـ ــ١٤٨٣م د/ أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدولة الاسلامية مرجع سبق ذكره ، ج٢ ص٤١٥ .

(٣٠) ابن اياس : بدائع الزهور . مصدر سبق ذكره ، ج٤ ص١٩١ــ ٢٠٥ ، وانظر ايضا د/ نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣م ص ص١٥٤ــ١٦١ و ص١٨٥ ، وانظر ايضا الخطاب الموجه من جمهورية البندقية الى الغورى سلطان المماليك (٩٠٦ــ٩٢٢هـ ، ١٥٠١ــ١٥١٦م) بتاريخ ٢٠ يناير سنة ١٥١١م والذى تشكو فيه من الاجراءات الانتقامية التى اتخذت ضد مواطنيها بسبب مراسلتهم واستقبالهم لمبعوث الشاه اسماعيل الصفوى (وثيقة تاريخية منشورة فى : د / نعيم زكى فهمى طرق التجارة الدولية . المرجع السابق ص ص٣٩٥ــ٣٩٩) .

(٣١) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية .. مرجع سبق ذكره ص٧٤ .

ثانيا ــ العداء المذهبى وأثـــارة الفتن .

كان العثمانيون والصفويون على طرفى نقيض ، اذ أن العثمانيين ــ منذ دخولهم فى الاسلام ــ اعتبروا انفسهم الحماة التقليديين للمذهب السنى ، بينما أعتنق الصفويون المذهب الشيعى واضطهدوا ما عداه من المذاهب ، خاصة أتباع المذهب السنى ؛ وتذكر المصـــادر التاريخية أن الصفويين اشتطوا فى القصـــاء على أتباع السنة فى بلادهـــم ، واضطر كثير من علماء الفرس والعراق الى الرحيل الى بلاد العثمانيين هربا من بطش الصفويين بهم ، حيث وجدوا المجـــال خصـــبا ، لأن العثمانيين عنوا عناية فائقة بفتح المدارس وتشجيع العلم واجتـــذاب العلماء الى بـــلادهم(٣٢) .

ومن جهة أخرى ، فان الشاه اسماعيل الصفوى قـــد اغرتـــه الانتصارات السريعة والمتواصلة التى حققـــــها ــ فى داخـــل بـــلاده وخارجها ــ وشرع فى تهديد العثمانيين أملا فى نشر المذهب الشيعى بين رعاياهم ، فنجده ــ بعد انتصاره الحاسم على ملك التتار ــ سالف الذكر يبعث برسالة تهديد الى السلطان بايزيد الثانى ، عبار عن بيتين من الشـــعر ، قال فيهما(٣٣) .

---

(٣٢) طاش كبرى زاده (أحمد بن مصطفى) الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية ، مخطوط بمكتبة رفاعة رافع الطهطاوى بسوهاج رقم ١٥٠ تاريخ ، الأوراق ٥ ، ٧ ، ٢٢ ، ١٦٢ ــ مجرد أمثلة .

(٣٣) ابن اياس : بدائع الزهور .. مصدر سبق ذكره ج٤ ص٢٢١ ، القلعاوى صفوة الزمان .. مصدر مخطوط سبق ذكره ، ورقة١١٢ ، وجدير بالذكر أن الصفوى قد بعث برسالة تهديد مشابهة الى الغورى ــ سلطان المماليك فى مصر ــ عبارة عن بيتين من الشعر قال فيهما :

==

نحن أنـــاس قـــد عـــدا شـــأننا
حـــب عـــلى بن أبـــى طـــالب
يعيبـــنا النـــاس عـــلى حبـــه
فلعنـــة اللـــه عـــلى العـــايب

فما كان من العثمانيين الا أن ردوا على رسالته المذكورة باجابـــة مماثلة قالوا فيها :

مـــا عيبـــكم هـــدا ولكـــنه
بغـــض الـــذى لقـــب بالصـــاحب
كذبتمـــوا عنـــه وعـــن بنـــته
فلعنـــة اللـــه عـــلى الكـــاذب

ومن الوسائل التى اتبعها الصفوى ضد العثمانيين فى عهد بايزيد الثانى ، أنه أعد جيشا قويـــا أغار به على حـــدود الدولة العثمانيـــة ، وتمكن من الاستيلاء على بعض البلاد ، كما استطاع استـــمالة أغلب التركمان الســـاكنين فى جهات « تكة » و « ايج أيل » — من بـــلاد العثمانيين — سنة ٩٠٨هـ / ١٥٠٣م ، وجهزت الدولة لمحاربته جيشـــا

=

السيف والخنجر ريحاننا   اف على النرجس والآس
مدامنا من كأس اعدائنا   وكأسنا جمجمة الرأس

وقد تبارى شعراء مصر فى الرد على تهديدات الصفوى ، فقال ابن اياس :

بالسيف والخنجر نفنى العدا   وكم لنا فى الحرب من باس
نسلب بالرعب عقول الورى   وعقلنـــا وافـــر فى الـــراس

انظر تفاصيل هذا الموضوع فى : ابن اياس : بدائـــع الزهـــور .. مصدر سبق ذكره ، ج٤ ص ص٢٢٠-٢٢٧ .

كبيرا ، فما كان منه الا أن بادر بالانسحاب الى بلاده دون قتال (٣٤) .

ومن جهة أخرى ، فقد دأب الشاه اسماعيل الصفوى على أن يبث أتباعه ومريديه داخل الأراضى العثمانية ، متسترين بالزهد والتصوف، ويمدهم بما يحتاجون من أموال لضمان نجاحهم فى أحداث اضطرابات داخلية ، وصلت — أحيانا — الى الصدام المسلح ، فقد كان هناك شخص يدعى « حسن خليفة » تظاهر بالزهد ، واعتكف هو وابنه فى احدى المغارات بجبل قريب من مدينة أنطاليا العثمانية ، وطارت أنباء زهده الى السلطان بايزيد الثانى ، فأغدق عليه العطايا والهبات — كعادة سلاطين آل عثمان — ورتب له راتبا سنويا،ولم يكن هذا الشيخ سوى واحد من دعاة الشيعة ، فكان يلقن زائريه تعاليم المذهب الشيعى .

وبعد وفاته ، واصل الابن « نور خليفة » نشاط أبيه ، وأطلق على نفسه لقب « شاه قولى » أى عبد الشاه ، وبعد أن افتضح أمره لقبه الناس بلقب « شيطان قولى » أى عبد الشيطان ،وحين اعتلى الشاه اسماعيل أريكة الحكم فى فارس ، كان عدد مريدى هذا الشيخ من الكثرة بمكان ، فبدأ يدعو بالبيعة للشاه اسماعيل ، ووصل بدعوته الى بلاد البلقان ، وفى أواخر عهد السلطان بايزيد الثانى الذى كان قد بلغ من الكبر عتيا ، وترك شئون الحكم لوزرائه وأولاده ، وكان الأبناء فى شغل شاغل بتنافسهم على العرش المرتقب، الأمر الذى أدى الى اختلال الأمن فى البلاد ، فزاد عدد الخلايا

---

(٣٤) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية .. مرجع سبق ذكره ص ٧٤ .

السرطانيه بين الرعايا العثمانيين ، وبـــات « نور خليفة » ، أو شيطان قولى ، يترقب ببعه الصــغر لتنفيذ ما كان يبيت له ، وذات يـــوم رأى اتبـــاعه قافله أمير ايطالي متجهه جنوب الشمال ، فظنـــوا ان السلطان قد وافته المنية ، وأن الامـــير ذاهب لقتـــال اخوته ، فانقض نور خليفه واتبـــاعه على تلك القافلة وسلبوها ، ثم سار فى عشرين ألفا من المريدين والاتبـــاع يدعو لنفسه باعتباره خليفة الشاه اسماعيـــل الصفوى فى الاناضول . واستشرت فتنته ، فبدأ يهاجم البلـــدة تـــلو الأخرى ، وكلما دخل بلدا وجد له أتباعا ومريدين ، وأمر خطباء المساجد — فى البلاد التى استولى عليها — بالدعـــوة للشـــاه اسماعيل الصفوى على المنـــابر .

وعلى هذا المنوال ظلت قوات العصاة تستولى على مدينة اثر أخرى ، وتنظيم المذابح الجماعية ، الى ان سيرت اليها الدولة حمـــلة كبـــيرة بقيادة الصدر الأعظم على باشا الخادم ، فالتقى بالعصـــاة ، ودارت رحى معركة ضـــاريه استشهد فيـــها الصـــدر الأعظم ، واســـتطاع الجيش العثمانى أن يفرق جمع أتباعه « شيطان قـــولى » بصـــعوبه بالغة ، ولكن لم يتم القضـــاء على الفتنة كلية ، فلقـــد فر رأســـها الى بـــلاد فـــارس(٣٥) .

استنزفت هذه الفتنة دماء المسلمين وطاقاتهم وامكاناتهم زهـــاء سنتين (٩١٥ — ٩١٧هـ / ١٥٠٩ — ١٥١٠م) ، مما حدا بالأمير سليم

---

(٣٥) القرمانى : اخبار الدول .. مصدر سبق ذكره ، ص٣١٢ ، وانظر : البكرى (شمس الدين محمد ابن ابى السرور) : المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية ، مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ١٩٢٦م تاريخ ، ميكروفيلم رقم ١٠٥٤٨ ورقة ١٦ ب ، وانظر : ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية .. مرجع سبق ذكره ص٧٦ .

أن يحسم الأمر ويمسك الأمور بيديه ، ويطالب والده السلطان بايزيد الثاني : بالتنازل عن العرش سنة ٩١٨هـ / ١٥١٢م ، الأمر الذى عجل بوقوع الصدام المسلح بين العثمانيين والصفويين فى أولى المواجهات العسكرية فى جالديران .

مقدمات معركة جالديران :

تعد معركة جالديران أو نشالديران سنة ٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م الشرارة الأولى لحرب طاحنه بين العثمانيين والصفويين ، استمرت ما يربو على قرنين من الزمان ، أى طيلة حكم الأسرة الصفوية فى بلاد فارس(٣٦) ، ورغم ما كان يتخلل هذه الحروب من اتفاقات ومعاهدات سلام ، لم يسد بينهما سلام حقيقى ، وظل الطرفان يتربص كل منهما بالآخر متوجسا منه خيفة ، حتى غدت العلاقة بينهما علاقة عداء تقليدى .

فما أن تولى السلطان سليم الأول الحكم (٩١٨ — ٩٢٦ هـ / ١٥١٢ — ١٥٢٠م) حتى أيقن أن لا مفر من تحويل جهاد العثمانيين فى الجبهة الأوربية الى جهة الشرق لمحاربة الصفويين ، نظرا للعوامل السالف ذكرها ، هذا الى جانب أن العثمانيين كانوا قد عينوا مخابرات خاصة مهمتها الكشف عن تحركات الصفويين العسكرية والسياسية

---

(٣٦) حكمت هذه الدولة من سنة ٩٠٧هـ-١٥٠٢م ، الى سنة ١١٣٥هـ-١٧٢٢م ، (انظر : دكتور أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية .. مرجع سبق ذكره ، ج٢ ص ٥٤٩) .

والعقدية ، وقد أكدت التقارير التى أعدتها تلك المخابرات : أن الشـــاه اسماعيل ماض فى غيه وضـــلاله(٣٧) .

وكان السلطان سليم الأول — فى حياة والده بايزيد الثانى — واليا على ولاية « طرابــيزون » التى تعد مركزا تجاريا هاما فى أقصى شرق الاناضول ، تتصل بطرق برية بفارس وأرمينيا ، وبهـــا أسواق عالمية ، وتمد أوربا بالسلع الشرقية ، وللجاليات الأجنبية — فيهـــا — فنادق ووكالات تجارية ، وتتصل بحرا بباقى موانىء البحـــر الأسود والقسطنطينية ، كما تتصل — عن طريق ديار بكر — ببغداد والخـــليج العربى(٣٨) وأدرك — بحكم موقعه هذا — ما يخطط له الصفويون ، وكانت قد وقعت عدة مناوشات عسكرية مع الصفويين أثنـــاء ولايتـــه على طرابيزون(٣٩) .

أضف الى ذلك أن الشاه اسماعيل قد اتخذ موقفا عدائيا ضـــد السلطان سليم الأول أثناء الخـــلاف الذى نشب بينـــه وبين والـــده السلطان بايزيد الثانى ؛ فلقـــد ساعد الشاه اسماعيل الأمير أحمـــد

---

(٣٧) دكتور : محمد حرب : كتب الفتوح العثمانية وأهميتها فى كتابة تاريخ منطقة الخليج العربى والجزيرة العربية ، بحث منشــور فى مجلة رسالة الخليج العربى ، العدد الثامن عشر ، السنة السادسة ، الرياض ١٤٠٦هـ-١٩٨٦ ، ص٢٠٦ .

(٣٨) دكتور : نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية .. مرجع سبق ذكره ، ص١٦٠ .

(٣٩) دكتور : محمد حرب : كتب الفتوح العثمانية .. مرجع سبق ذكره ، ص٢٠٧ .

ابن بايزيد الثانى على والده ، ثم أخيه سليم الأول من بعده ، وقبل من فر من أولاده عنده(٤٠) ، لاستخدامهم فى اثارة القلاقل ضده •

ومن جهة أخرى ، فلقد منع الشاه اسماعيل الصفوى سفيره من تقديم واجب التهنئة للسلطان سليم الأول بمناسبة جلوسه على العرش ، وفى الوقت الذى هنأه فيه سفراء جميع الدول(٤١) •

هذا الى جانب أن أصوات علماء الدولة العثمانية كانت تنادى بضرورة الدفاع عن السنه ومحاربة الملاحدة والروافض ، منهم — على سبيل المثال — المولى محمد بن عمر بن حمزة (ت ٩٣٨هـ/ ١٥٣١م) ، الذى حرض السلطان سليم الأول على جهاد الصفويين ، وألف له كتابا فى أحوال الغزو وفضائله ، ذهب فيه الى ضرورة القضاء على تلك الطائفة المارقة عن الدين(٤٢) ، ولم يقتصر علماء الدولة العثمانية على ذلك ، وانما قاموا بتعبئة جماهير الشعب العثماني دينيا ، فأخذوا يعظون الناس فى المساجد ويذكرون لهم ثواب الجهاد ضد طاغية الفرس(٤٣) ، الأمر الذى أدى الى وجود ما يمكن أن نطلق عليه : أن الحرب ضد الصفويين قد أصبحت مطلبا دينيا وشعبيا لا مفر منه •

وكان لابد للسلطان سليم الأول أن يفكر فى موقف سلطنة المماليك فى مصر ، وهى دولة سنية عانت كثيرا من تهديدات الشاه اسماعيل

---

(٤٠) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية •• مرجع سبق ذكره ص١٨٨–١٨٩ ، وانظر : ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية •• مرجع سبق ذكره ص٧٨ •

(٤١) ابراهيم بك حليم : المرجع السابق ، ص٧٨ ، ٧٩ •

(٤٢) طاش كبرى زاده : الشقائق النعمانية •• مصدر مخطوط سبق ذكره ، ورقة ٢١١ ، ٢١٢ •

(٤٣) المصدر السابق ، نفس الورقتين •

الصفوى ، فبعث برسالة الى الغورى — سلطان مصر — يخبره فيها بعزمه على محاربة الصفوى ، ويطلب منه : « أن يكون هو والسلطان امرا واحدا ، وقولا جازما على الصفوى حتى يكون من أمره ما يكون »(٤٤) ٠

ويبدو أن الغورى لم يكن فى موقف يسمح له بالاشتراك فى هذه الحرب ، لأن مصر — فى تلك الآونة — كانت تخوض غمار حرب أخرى ضد البرتغاليين الذين أحاطوا بالعالم الاسلامى ، وسيطروا على التجارة الشرقية ، هذا الى جانب أن الغورى لم يكن مطمئنا تمام الاطمئنان لنوايا الداهاين المتصارعين ، فقرر أن تقف مصر على الحياد ، وأن تأخذ للأمر حيطته بارسال قوات عسكرية الى حلب — فى شمالى الشام — لمراقبة الموقف العسكرى ، نظرا لأن صناع السياسة فى مصر كانوا واثقين أن المنتصر من الطرفين لابد وأن يولى وجهه شطر مصر (٤٥) ٠

أما السلطان سليم الأول ، فقد اتخذ عدة اجراءات قبيل توجهه الى قتال الصفوى ، تمثلت فيما يأتى :

أولا — قام بزيادة الضرائب الجمركية على البضائع التى تمر

---

(٤٤) ابن اياس : بدائع الزهور ٠٠ مصدر سبق ذكره ، ج ٤ ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، وقد حاول الشاه اسماعيل الصفوى أن يستميل مصر الى جانبه — أيضا انظر : ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية ٠٠ مرجع سبق ذكره ، ص ٧٩ ٠

(٤٥) ابن اياس : المصدر السابق ، ج ٤ ص ص ٣٧٢—٣٧٦ ٠

بالأراضى العثمانية بواقع دمسة فى المائة (٤٦) ، الأمر الذى أضـــر اقتصـــاديا بالفـــرس •

ثانيا ــ أقام مذبحه جماعية لأتباع الشيعة القزلباشية فى الدولة العثمانية بنـــاء على فتوى العلماء ؛ ويقال ان عددهم بلغ نحو الأربعين ألفـــا (٤٧) •

ثالثا ــ جرت عادة سلاطين الدولة العثمانية علي أن لا يخرجوا لغزو دون استفتاء العلماء ، فدعا سليم الأول مفتي السلطنه ومشـــايخ الفقهاء ومشاهير العلماء ، واستفتاهم عن شرعية قتال الشيعة فى بـــلاد فارس : « فأفتوا مطابقين ، وأجابوا متوافقين ، بأن سعى من جد فى قمعهم مشكور ، وعمل من جاهد فى دفعهم مبرور »(٤٨) ، وحكمـــوا بكفرهم والحادهم وارتدادهم ، وأصر عدد كبير من العلماء على مرافقة الجيش العثمانى فى خروجه لجهاد الصفويين الشيعة فى فارس •

معركـــة جالديران(٤٩) :

جمع السلطان العثمانى سليم الأول جيشا جرارا ، بلغ عدد جنوده

---

(٤٦) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية •• مرجع سبق ذكـــره ص ٧٩ •

(٤٧) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية •• مرجع سبق ذكره ، ص ١٨٩ •

(٤٨) ابن طولون الصالحي : مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان ، تحقيق محمد مصطفى ، قسمان ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٨١هـ-١٩٦٢م ، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م القسم الثانى ص ٥٠ •

(٤٩) جالديران : واد بين بحيرة أورميـــة وتبريز شرقى الاناضول (دكتور : احسان حقى : تحقيقه على تاريخ الدولة العلية •• مرجـــع سبق ذكره ، ص ١٩٠ حاشية ٢) •

مائه ألف جندى تقريبا(٥٠) اتجه به الى الشرق قاصدا شيعة فارس سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م ، وفى الطريق تبادل الطرفان رسائل مفعمة بالحقد والكراهية ، والتهديد والوعيد ، والسخرية والاستهزاء ، وقد قام السلطان سليم الأول بقتل أحد سفراء الشاه اسماعيل الصفوى لاستثارة غضبه ، فيعجل بمقابلته ومحاربته(٥١) ، ولكن الصفوى اتبع سياسة الاستدراج للسلطان العثمانى ، فكان يأتى على الأخضر واليابس أمام الجيش العثمانى ، ويضطره على التوغل فى الأراضى الفارسية ، بينما يختفى هو وجيشه عن الأنظار ، ولا يبرز من مكمنه الا وقد نال للجوع والارهاق والسآمة من الجيش العثمانى ، وهذا ما حدث فعلا ، ولولا قلة من المؤن كانت تأتى الى العثمانيين من ميناء طرابيزون ، عبر الوديان والفيافى ، على ظهور البغال والحمير ، لكان مآلهم الى الهلاك .

واذا كانت خطة « الأرض المحروقة » هذه لم تنجح كثيرا فى قطع خطوط الامداد والتموين عن الجيش العثمانى ، فقد نجحت فى اصابة

---

(٥٠) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية .. مرجع سبق ذكره ، ص ٧٩ .

(٥١) المرجع السابق نفس الصفحة ، وحدث أن تبادل العاهلان المتحاربان هدايا ترمز الى سخرية كل منهما بالآخر ، أرسل الشاه صندوقا ذهبيا مليئا بالافيون ، اشارة الى أن السلطان سليم مدمن على تعاطى المخدرات ، ورد السلطان سليم عليه بأن أرسل اليه ملابس سيدة ، رمزا الى أن الشاه اسماعيل تعوزه صفات الرجولة (أنظر : دكتور : عبدالعزيز محمد الشناوى : أوربا فى مطلع العصور الحديثة .. مرجع سبق ذكره ، ص ٥٧٨ حاشية ١) .

جنوده بالقلق والتوتر ، فلقد حدث أثناء تقدم العثمانيين فى الاراضى الفارسية ، أن تذمر قادة الجيش من طول المسافة ومشقة السفر وتغير المياه ، وحاولوا اثناء السلطان عن عزمه ، وقالوا له : ان التوغل فى بلاد أجنبية بهذه المسافة الطويلة ليس من السياسة فى شىء ، ولكن السلطان لم يستمع اليهم . فلجأوا الى طريقة أخرى أشد وأعنف ، حيث هجموا على خيمه السلطان فى صورة مظاهرة احتجاج صاحبه ، فما كان من السلطان ألا أن خرج من خيمته ، وأمسك بسيفه ، وأطاح على الفور برأس أحد قادتهم ويدعى « هدم باشا » فخشيه الجميع ، والتزم كل موقعه(٥٢) واستأنف الجيش سيره بقيادة السلطان الذى اتسمت تصرفاته بالشدة والحزم .

وكان السلطان سليم الأول كلما جد فى السير ، جد الشاه اسماعيل الصفوى فى التوغل داخل بلاد فارس ، وزادت متاعب الجيش العثمانى ، ولقد استيقظ السلطان ذات يوم من نومه على صياح جنود الانكشارية — وكانوا يزيدون على أربعة عشر ألف انكشارى — (٥٣) وهم يقوضون الخيام ، ويرشقون خيمته بالرصاص ، رافعين راية العصيان ، مطالبين بالعودة الى استانبول ، بعد أن يئسوا من لقاء العدو ، وبحنكة القائد استطاع سليم الأول أن يمسك بزمام الموقف ، وخطب فى جنوده مذكرا اياهم : أنهم انما جاءوا لقتال الرافضة والملحدين الذين ارتدوا عن دين الله حتى يفيئوا الى أمر الله ، فمن تخاذل وآثر العودة فهو فى حكم الرافضة ، ونادى فيهم : « أنه لايمكن

---

(٥٢) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية .. مرجع سبق ذكره ، ص ٧٩ .

(٥٣) القرمانى : اخبار الدول .. مصدر سبق ذكره ، ص ٣١٤ .

الرجوع بغير حرب مع العدو ، وكل من يشعر منكم فى نفسه بالجبن فليرجع ، وأما أنا فلابد لى من محاربة العدو ولو منفردا »(٥٤) ، فلما رأى الانكشارية هذا التصميم من السلطان ، وتلك الشجاعة الفائقة ، وأنه نسبهم الى الجبن ، رجعوا عن عصيانهم ، وأعلنوا طاعتهم لسلطانهم ، وأنهم مستعدون للقاء العدو بكل همة ونشاط .

ومضى السلطان سليم الأول بجنوده قاصداً تبريز ، وأخيرا ظهر الشاه اسماعيل الصفوي ، والتقى الجمعان فى واد يسمى جالديران أو تشالديران ، بعد سفر طويل ممض استغرق طيلة شهر كامل(٥٥) .

ورتب السلطان العثمانى عسكره ، فجعل « سنان باشا » سر عسكر(٥٦) الأناضول ــ قائدا للميمنة ، و « حسن باشا » ــ سر عسكر الروملى ــ(٥٧) قائدا للميسرة و «حسن باشا» قائدا «للطوبجية»(٥٨)

---

(٥٤) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية .. مرجع سبق ذكره ص ٨٠ .

(٥٥) ابن طولون : مفاكهة الخلان .. مصدر سبق ذكره ، القسم الثانى ، ص ٥١ .

(٥٦) سر عسكر : كلمة تركية تعنى رئيس العسكر أو قائدهم ، وتكتب ــ أحيانا ــ « سارى عسكر » أو « صارى عسكر » (دكتور : مصطفى رمضان : مصادر تاريخ مصر الحديث ، القاهرة ١٩٨٣م ، ٨١) .

(٥٧) الروملى : يقصد بها بلاد البلقان وبقية الاقاليم العثمانية فى أوربا (دكتور : عبدالعزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية .. مرجع سبق ذكره ، ج ١ ص ٤٢٤) .

(٥٨) الطوبجية : يقصد بهم رماة المدفعية (دكتور : احمد السعيد سليمان : تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٩م ، ص ١٤٣) .

ووقف السلطان ووزارؤه مع الانكشارية فى الوسط ، ورتب الشاه أسماعيل الصفوى جنوده — أيضا — فعين « محمد خان » — والى ديار بكر — ومعه والى بغداد على الجناح الأيمن ، فى مقابلة عسكر الروملى، وأخذ القادة الشجعان على الجناح الأيسر فى مقابلة عسكر الأناضول، وقاد بنفسه أربعين ألفا من الخيالة المزودين بالأسلحة(٥٩) .

وفى صباح يوم الأربعاء الثانى من شهر رجب سنة ٩٢٠هـ (٢٣ من أغسطس — آب ١٥١٤م)(٦٠) دارت رحى معركة رهيبة بين العثمانيين والصفويين ، واستبسل الفريقان فى القتال وأظهرا من فنون الحرب ما يعجز عن تصوره الخيال ، وحين ظهرت الهزيمة فى ميسرة الجيش العثمانى أمر « حسن باشا » — قائد الطوبجية — باطلاق المدافع على جند الصفويين ، فحصدتهم حصدا ، وقتل « محمد خان » قائد ميمنة الجيش الصفوى ، كما قتل — فى المعركة — والى بغداد ، فلما رأى الشاه رجحان كفة العثمانيين هجم بالخيالة التى يقودها على قلب الجيش العثمانى ، فقابله الانكشاريون وقاتلوه حتى أوقعوه جريحا ، ولم ينج

---

(٥٩) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية .. مرجع سبق ذكره ، ص ٨٠ .

(٦٠) يوجد اختلاف بين المؤرخين فى تحديد تاريخ المعركة ، فابن اياس يذكر (ج ٤ ص ٣٩٨) أنها كانت فى السادس من شهر رجب سنة ٩٢٠هـ ، وابراهيم بك حليم يذكر (ص ٨٠) أن يوم الاربعاء يوافق الثالث من شهر رجب سنة ٩٢٠هـ ، والصحيح ما أثبتناه فى المتن ، فلقد أورده السلطان سليم الأول فى رسالته التى سنعرض لها بعد قليل ، وتؤكده — أيضا — الكتب التى عنيت بتواريخ السنين الهجرية والميلادية (انظر دكتور : عبدالمنعم ماجد ، وعبدالمحسن رمضان : جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها ، الانجلو المصرية القاهرة ١٩٨٠م ، ص ٨٣) .

من القتل الا بصعوبة بالغة ، فقد أنقذه أحد أتباعه وأركبه على فرس وانطلق به الى تبريز(٦١) •

وهكذا تمكن الجيش العثمانى من الحاق هزيمـة منكرة بالجيش الفارسى ، رغم الخسائر الفادحة فى الارواح ، وأمر سليم الأول بقطع رؤوس من قتل من أمراء الصـفوى وأرسـلها الى بلاده ، فطافوا بها هناك ، وعلقت على أبواب المدائن العثمانية الكبرى(٦٢) ، كما أرسل أحد القادة الى العاصمة «تبريز» لاعطاء أهلها الأمان وليكون فى شرف استقبال السلطان ، وحين علم الشاه بذلك أمر أتباعه باحراق أجران القمح والشعير ، حتى لا يجد العثمانيون ما يقتاتون به ، كما استولى على ما تحويه خزائنها من ذهب وفضة وولى الادبار(٦٣) •

وحين دخل السلطان سليم الأول « تبريز » عاصمة الصفويين ، استقبله أهلها استقبال الفاتحين الظافرين المنتصرين ، إذ كان غالبيتهم من السنة الأحناف الذين تظاهروا بالتشـيع خـوفا من بطش الشاه اسـماعيل الصـفوى ، الذى كان قد حول بعض مسـاجد المدينة الى (اصطبلات) لخيله ، وأقيمت صلاة الجمعة فى مساجد تبريز فى الرابع من شهر رجب سـنة ٩٢٠هـ / ٢٥ من أغسطس — آب — ١٥١٤م) لأول مرة منذ أن تولى الشاه حكمهم ، وحضر السلطان سـليم الأول الصلاة فى أكبر مسـجد بالمدينة ، والذى امتـلأ عن آخره بالمصلين —

---

(٦١) القرمانى : أخبار الدول •• مصدر سبق ذكره ، ص ٣١٤ ، ابن اياس : بدائع الزهور •• مصدر سبق ذكره ، ج ٤ ، ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ •

(٦٢) ابن اياس : المصدر السابق ٢ ج ٤ ص ٤٠٣ •

(٦٣) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية •• مرجع سبق ذكره ، ص ٨٠ •

وكانوا ممنوعين من اقامة شعائر صلاة الجمعة — ، وأنصتوا — خاشعين — الى قارئ كتاب الله ، والى خطيب المسجد الذى صلى على رسول الله ﷺ وترحم على الخلفاء الراشدين الأربعة لأول مرة — أيضا — بعد طول غياب ، ودعا الخطيب بدوام حكم العثمانيين وللسلطان سليم الأول ، وعم البشر والسرور أهالى «تبريز» بعد طول قهر وعناء(٦٤) .

واستولى السلطان سليم الاول على زوجة الشاه(٦٥) ، ونفائس القصور ، وأمر بترحيل مهرة الصناع والحرفيين من تبريز وبلاد الفرس عامة الى العاصمة العثمانية(٦٦) ، وقام ذو الفقار خان — حاكم بغداد الجديد — باعلان تبعيته للدولة العثمانية ، وأرسل مفاتيح بغداد الى السلطان سليم الأول(٦٧) ؛ وكان فى تخطيط السلطان العثمانى أن يقيم

---

(٦٤) ابن طولون : مفاكهة الخلان .. مصدر سبق ذكره القسم الثانى ص ٥٦ .

(٦٥) حاول الشاه اسماعيل استرداد زوجته من السلطان سليم الأول .. وأرسل اليه — بعد المعركة — وفدا رسميا يحمل هدايا ثمينة للسلطان ، ويلتمس منه اطلاق سراح زوجته ، فرفض السلطان سليم ، وزج باعضاء الوفد فى غيابات السجن ، وأمر بتزويج ملكة فارس لأصغر جندى من فئة العبيد فى الجيش العثمانى (انظر : محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية .. مرجع سبق ذكره ، ص ١٩٠ ، دكتور : عبدالعزيز محمد الشناوى : أوربا فى مطلع العصور الحديثة .. مرجع سبق ذكره ، ص ٥٧٨ حاشية ٢) .

(٦٦) طاش كبرى زاده : الشقائق النعمانية .. مصدر مخطوط سبق ذكره ، ورقة ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٦٧) نصوح قراكوز بن عبدالله البسنوى (مؤرخ عاش فى عهد كل من سليم الأول وسليمان المشرع ، وألف كتابا مخطوطا عنوانه : سفر =

فى « تبريز » حتى يستكمل انتصاراته ويتبع جماح الفرس بالقضاء على الشاه اسماعيل قضاء مبرماً ، وسار فعلا حتى وصل الى شاطىء نهر « الرس »(٦٨) ، ثم تراجع عن عزمه بسبب قلة المؤن ، لان الشاه كان قد أمر باحراق القمح والشعير — كما سبق أن ذكرنا — ، هذا الى جانب طول خطوط المواصلات وخطورتها خلال أشهر الشتاء القاسية وعدم تمكنهم من التدرب فيه ، كما أن جنود الانكشارية قد هددوا بالعصيان والثورة ، فاضطر السلطان سليم الأول على الرجوع بجيشه الى بلاده(٦٩) بعد أن هبط بالدولة الصفوية الى دولة من الدرجة الثانية(٧٠) .

وثيقة تاريخية :

حفظ — لنا — ابن طولون الصالحى(٧١) وثيقة تاريخية نادرة عن معركة جالديران أو تشالديران ، عبارة عن مرسوم أو رسالة بعث

=

مراقبين قانونى ياخوذ مجموعة المنازل) ، نقلا عن : دكتور : محمد حرب : كتب الفتوح العثمانية .. مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠٨ .

(٦٨) نهر الرس ، أو راس : ينبع من جنوب شرق تركيا .. ويمر بشمال ايران ثم روسيا ويصب فى نهر الخزر (دكتور : احسان حقى : فى تحقيقه على تاريخ الدولة العلية .. مرجع سبق ذكره ، ص ١٩١ حاشية ١) .

(٦٩) دكتور : عبدالعزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية .. مرجع سبق ذكره ، ج ١ ص ٤٩٥ و ص ٥١٠ .

(٧٠) المرجع السابق ، ج ١ ص ١٩ .

(٧١) ابن طولون الصالحى : هو شمس الدين محمد بن على بن أحمد

=

بها السلطان سليم الأول الى عاصمته استانبول — من تبريز — بعد أن تحقق له النصر على الشاه اسماعيل الصفوى ، يبشر فيها بالنصر الذى أتمه الله عليه(٧٢) قال فى آخرها :

« أسطرت فى الثالث والعشرين من شهر رجب المرجب لسنة عشرين وتسعمائة ، من بلدة تبريز ، هذه المكاتبه الشريفة ، مبشرة بما أجده الله من الجد ، وأنجز من الوعد ، وأجزل من الوفد ، وحلى وجه المؤمنين ببشراه بشرى ، وملأ صدور الموحدين أمنا ، وقلوب الملحدين ذعرا »(٧٣)

=

ابن طولون ، ولد بصالحية دمشق سنة ٨٨٠هـ–١٤٧٥م ، ونشأ فى أسرة اشتهرت بالعلم والاشتغال بالقضاء والتدريس ، درس على علماء الشام ومكة ومصر ، وبرع فى علوم عديدة بلغت ثمانية وثلاثين علما ، وألف كثيرا من الكتب فى فروع العلم المختلفة ، وشغل العديد من الوظائف ، أهمها التدريس الذى فضله على مناصب القضاء ، فكانت أوقاته عامرة بالتدريس والافادة والتأليف ، وقد عاصر أحداث معركة جالديران والفتح العثمانى للشام ومصر ، وألف كتابه « مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان » الذى أرخ فيه للشام ومصر من مولده سنة ٨٨٠هـ–١٤٧٥م وحتى قبيل وفاته ، اذ أنهاه بحوادث سنة ٩٥١هـ–١٥٤٤م ، وقد توفى ابن طولون بصالحية دمشق سنة ٩٥٣هـ – ١٤٦٠م (انظر : الكواكب السائرة ٠٠ مصدر سبق ذكره ، ج ٢ ص ٥٣ ، ٥٤) ٠

(٧٢) جدير بالذكر أن سليم الأول بعث بكتاب الى الغورى سلطان مصر — يبشره بانتصاره على الصفوى ، ويبدو أن الغورى لم يسعد بذلك ، بدليل أنه لم يدق الكوسات بالقلعة ، كما لم يأمر بتزيين القاهرة ابتهاجا بالنصر — كما جرت العادة بذلك (انظر : ابن اياس : بدائع الزهور ٠٠ مصدر سبق ذكره ، ج ٤ ص ٤٠٣ ، ٤٠٤) ٠

(٧٣) ابن طولون : مفاكهة الخلان ٠٠ مصدر سبق ذكره ، القسم الثانى ص ٧٥ ٠

وقد حوت الرسالة المذكورة تفاصيل دقيقة عن الخلاف بين العثمانيين والصفويين ، وفتوى العلماء بضرورة قتالهم ، وخروج الجيش العثماني من استانبول وتوجهه الى بلاد فارس ، والكتب التي بعث بها سليم الاول الى الصفوي يطلب منه التوبة عن جرائمه والرجوع عن غيه وضلاله ، وانتصار العثمانيين ومشاعر أهل تبريز — بعد النصر — واحياء السنه فيها

ولقد وصف السلطان العثماني النصر الذي تحقق في جالديان بـ « الفتح الأكبر »(٧٤) ، ووصم الصفويين بـ « الكفر ، والرفض ، والضلالة ، والباطل ، والطائفة الجافية الملاحدة الفاجرة »(٧٥) ، الأمر الذي يعد جهادهم واجبا دينيا .

وعن الرسائل التي أرسلت الى الصفوي ، يقول سليم الأول : « .. كتبنا اليه كتابا مستطابا ، متضمنا للنصيحة والموعظة ، فأمرنا فيه أن يتوب من جرائمه وجرائره ، ويستغفر لصغائره وكبائره ، ويغير ما تعود في الأيام الماضية ، والأعوام الخالية ، ومن سوء الاعتقاد ، وتعذيب العباد ، والفعل اللئيم ، والخلق الذميم ، فقلنا : لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم ، وأوضحنا المعاني المندية باللفظ الوجيز فما وفق لذلك والتوفيق عزيز ، وأرسلنا اليه كتابا آخر داعيا للطعن والضرب ، مستدعيا منه المقارعة والحرب ، ومن موضع آخر كتابا رصيف المباني ، مؤكدا للأول والثاني ، وأردفنا رسولا برسول ، وألزمناه القتال بمعقول ومنقول »(٧٦) .

---

(٧٤) المصدر السابق ، ص ٤٨ .
(٧٥) نفس المصدر ، ص ص ٥٢-٥٣ .
(٧٦) نفسه ، ص ٥٠ ، ٥١ .

وعن النصر الذى أحرزه العثمانيون فى « جالديران » قال سليم الأول «من الله علينا بالفتح الجميل ، وأيدنا من عنده بالنصر الجليل ، فزلت أقدامهم ، وولت أعلامهم ، وانحل عقدهم ، وانفك حدهم ، وانتكس تدبيرهم ، وانعكس تقديرهم ، فما بقى من تلك الآلاف آحاد ، وما نجا من هذه الأعداد أعداد ، فعاد مجروحا بجراحات مؤلمة فى عدد يسير ، عاجزين حائرين ، خائبين خاسرين .. فخرجوا هاربين ، وللنجاة طالبين ، وقطعوا المنازل ، وطووا المراحل ، وتركوا الدواب والرحال ، وطرحوا الأحمال والأثقال .. وكذلك عاقبة الظالمين ، والحمد لله رب العالمين »(٧٧) .

وعن أسرى وجرحى معركة جالديران ، يقول السلطان العثمانى :«.. فأما من أسر منهم فيكفى اطناب الخيام لقيده وشده ، وأما من قتل فلقد حصرت الألسن عن حصره وعده ، فلم تقع عين الا على أشلاء طريحه ، وأعضاء جريحة ، وأصابع مقصومة ، وأشاجع(٧٨) مفصومة ، وصدور مرصوصة ، ونحور مبصوصة ، وأجساد منصفه وأعضاء منصفه .. وصارت تلك المعركة بالدماء دارا .. »(٧٩) .

ويصف السلطان سليم الأول أداء صلاة الجمعة فى « تبريز » على طريقة أهل السنة وصفا رائعا ، حيث يقول : « .. امتلأ الجامع ..

---

(٧٧) نفسه ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٧٨) الاشاجع : أصول الاصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف ، الواحد أشجع (أنظر : ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الانصارى) : لسان العرب ، تحقيق : عبدالله على الكبير وآخرين ، ستة أجزاء ، دار المعارف ، القاهرة ١٤٠١هـ-١٩٨١م ، ج ٤ ص ١٢٠١) .

(٧٩) ابن طولون : مفاكهة الخلان .. مصدر سبق ذكره . القسم الثانى ص ٥٥ .

وغصت بالسابقين اليه المواضع ، وصعد الخطيب المنبر فخطب وانصتوا ، ونطق فسكنوا ، ووعظ فى خطبته بموعظته ، وتلاها على مذهب اهل السنة وجماعتهم ، وذكر الخلفاء الراشدين والأئمة المجيدين رضوان الله عليهم اجمعين ، بالتعظيم والتبجيل على ترتيب خلافتهم ، بعد أن يذكروا أمدا مديدا ، وعهدا بعيدا ، ورقت القلوب ، وجفت الكروب ، وتصاعدت الزفرات ، وتجددت العبرات . وصاح التوابون ، وماج الأوابون ، فلما دعا بخلود أيام دولتنا واخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ختم بقوله : ان الله يأمر بالعدل والاحسان ، ونزل وصلى بالمحراب ، وافتتح باسم الله من أول الكتاب ، فصلينا معه والصفوف على سعة المسجد بها متصلة ، والأمة الى الله تعالى بدوام نصرتنا مبتهلة ، ولما قضيت الصلاة وانتشر الناس ، واستمد الايناس ، وطابت النفوس والأنفاس »(٨٠) .

نتائج معركة جالديران :

على الرغم من عدم تحقيق السلطان العثمانى سليم الأول أهدافا مباشرة ، بعد انتصاره فى جالديران ، لأن هذا النصر لم يضع نهاية حاسمة للحرب مع الصفويين ، ولم يوقف نشاطهم العدائى ضد الدولة العثمانية ، على الرغم من كل ذلك ، فقد كان لتلك المعركة نتائج هامة وخطيرة فى تاريخ العالم الاسلامى يمكن ايجازها فيما يلى :

أولا : استولى السلطان العثمانى على عدد من الامارات الواقعة على الحدود الفارسية العثمانية ، والحدود العثمانية المصرية ، وكانت حكوماتها نوعا من الولايات الوراثية السنية شبه المستقلة ، وكانت مصدر

---

(٨٠) المصدر السابق ص ٥٦ .

قلق دائم للعثمانيين ، فبعد انتهاء فصـــل الشتاء ، عـــاد الســـلطان العثمانى واستولى على قلعة « كوماش » الشهيرة ، وقضى على عـــلاء الدوله حاكم امارة « ذى القادر » سنة ٩٢١ هـ / ١٥١٥ م ،(٨١) وبعد عودة السلطان الى استانبول فتحت الجيوش العثمانية مدائن : ماردين ، وأورفه ، والرقه — فى جنب شرقى الأناضول — ، والموصل — فى شمال غرب العراق — ، وبذا تم فتح اقليم ديار بكر ، وأطاعت كافة قبائل الاكراد دون عناء كثير بشرط بقائهم تحت حكم رؤساء قبائلهم ،(٨٢) وكان لذلك فوائد استراتيجيه واقتصادية هامة ، فقـــد حمت الهضـــبة الأناضولية فى الشرق الدولة العثمانية من الغزاة القادمين من أواســـط آسيا ، كما سيطر العثمانيون نتيجه لذلك ، على طرق نقل الحرير الفارسى وبين تبريز وحلب ، وبين تبرير وبروسه ، وقدرت واردات ولاية ديار بكر بثمن واردات البلقـــان بكامله(٨٣) •

ثانيا : كشف معركة جالديران :

أن الضرورة الحربية تتطلب دخول بلاد الشـــــام ومصر فى حوزة العثمانيين ، لأمور عديدة ، منهـــا : أن عـــلاء الدولة حاكم امارة ذى

---

(٨١) حكم بنو ذى القادر فى مرعش والبستان وفيما حولهما — فى جنوب شرقى الأناضول زهـــاء مائة وتسعين سنة (٧٤٠–٩٢١ — ١٣٣٩–١٥١٥م) (انظر : دكتور : أحمـــد السعيد سليمان : تاريـــخ الـــدول الاسلامية •• مرجع سبق ذكره • ج٢ صص ٤٢٩–٤٣٣) •

(٨٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية •• مرجع سبق ذكـــره ، ص ١٩١ •

(٨٣) دكتور : عبدالكريم رافق : مصر والشام من الفتح العثمانى الى حملة نابليون بونابرت ١٥١٦ — ١٧٩٨م ، دمشق ١٩٦٨م ، ص ٥٦ ، ٥٧ •

القادر ــ وكانت تابعــة لمصر ــ هاجم مؤخرة الجيش العثمانى أثنــاء تجهه الى بلاد الفرس ،(٨٤) وتسبب فى تأخير وصــول المؤن الجيش العثمانى أثناء سفره الطويل الى بلاد فارس ،(٨٥) ، ولعــل ذلك كــان بايعاز من الغــورى ، ومنهــا أن المماليك فى مصر لم يستجيبوا لطلب السلطان العثمانى بمؤازرته فى الحرب ضد الصفويين،(٨٦) واقتصروا على ارسال « تجريدة »(٨٧) عسكرية الى حلب لمراقبــة الموقف ، ومن جهة أخرى ، فقد أشيع ان الغورى قد اتفق سرا مع الشــاه اسماعيل الصفوى ضد الدولة العثمانية ،(٨٨) هذا الى جانب أن الغــورى قــد آوى اليه بعض الأمراء العثمانيين الفارين من وجه السلطان ســليم ، وأراد أن يتخذ من وجودهم لديه أداة لاثارة مزيد من المتــاعب ضــد سليم الأول ٠(٨٩)

---

(٨٤) ابن الحمصى (شهاب‌الدين أحمد) : حوادث الزمان وأنبــائه ووفيات الأعيان وأبنائه ، مخطوط مصــور عن مكتبــة رفاعــة الطهطاوى بسوهاج ، فى معهد المخطوطات العربية بالقاهــرة ، رقــم ٤٢٠ تاريخ ، الجزء الثالث ٠ ورقة ١١٣ ٠

(٨٥) ابن زنبل الرمال (أحمــد بن أبى الحسن) : آخــره الممــاليك (واقعة السلطان الغورى مع سليم العثمــانى) تحقيــق عبدالمنعم عامر ، سلسلة كتب ثقافية ، القاهرة ١٩٦٢م ، ص ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ٠

(٨٦) ابن اياس : بدائع الزهور ٠٠ مصدر سبق ذكره ، ج ٤ ص‌ص ٣٧٢ـ٣٧٦ ٠

(٨٧) جريدة : أى حملة عسكرية (دكتور : مصطفى رمضان : مصادر تاريخ مصر ٠٠ مرجع سبق ذكره ، ص ٨١) ٠

(٨٨) ابن اياس : بدائع الزهور ٠٠ مصدر سبق ذكره ، ج ٥ ص ٣٥

(٨٩) المصدر السابق ، ج ٥ ص ٤٩ ، وص ٦٣ ٠

كان للعوامل السابق ذكرها أثر بالغ فى أن يدرك السلطان العثماني أنه لابد من تامين الجبهة العربية ، اذا اضطر الى خوض حرب ثانيه ضد الصفويين ، وأيضا لتامين خطوط الامداد والتموين عبر سواحل البحر الابيض المتوسط ، ومن جهة أخرى ، فلعل السلطان العثماني قد ادرك أن مصر — فى تلك الاونة — تمر بمرحلة اضمحلال واحتضار خطيرة ، على أثر تحول طرق التجارة الشرقيه من المرور بمصر والشام ، الى الطريق الجديد الذى كشفه البرتغاليون سنه ٩٠٣ هـ / ١٤٩٨ م ، حيث انتقل الثقل التجارى العالمي من حوض البحر المتوسط الى المحيط الاطلسى ، وازاء ذلك . نجأ الغورى — سلطان مصر — الى اتباع أساليب غير مشروعة ، لتعويض خزانة الدولة عما فقدته من أموال ، ولئن نجحت تلك الأساليب فى توفير بعض الأموال المطلوبة ، الا أنها عادت بالخراب على الدولة ومرافقها ،(٩٠) فلعل السلطان العثماني قد أدرك تلك الظروف السيئة التى تمر بها سلطنة المماليك فى مصر ، فرأى أن الفرصة مواتية للقضاء على حكم المماليك فيها ، وامتلاك مصر بما لها من مركز دينى وحضارى وسياسى ، وليظفر بلقب « خادم الحرمين الشريفين » .

أعد السلطان سليم الأول جيشا كبيرا مجهزا بأحدث الأسلحة الحربية ، واتجه به الى بلاد الشام ، حيث كان السلطان الغورى فى انتظاره بجيش ضخم ، ودارت رحى معركة رهيبة فى مرج دابق — شمالى الشام — فى الخامس والعشرين من شهر رجب سنة ٩٢٢ هـ (٢٤ أغسطس ١٥١٦ م) ، كان النصر فيها حليف العثمانيين ، وفقد

---

(٩٠) دكتور : أبو وردة عبدالوهاب السعدنى : ابن اياس ومنهجه فى كتابه بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، رسالة ماجستير اجيزت من كلية اللغة العربية جامعة الازهر بالقاهرة سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ، ص ٢١٦ .

الغورى تحت سنابك الخيل ،(٩١) ثم واصل سليم الأول زحفه شطر مصر ، والتقى بالسلطان طومان باى — الذى خلف الغورى فى حكم مصر — وانتصر عليه فى معركة الريدانية — بظاهر القاهرة — فى التاسع والعشرين من شهر ذى الحجة سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٧ م ،(٩٢) وبذلك دخلت الشام ومصر فى حوزة العثمانيين ، وامتدت ممتلكاتهم فى قارات العالم القديم الثلاث — آسيا ، وأوربا ، وافريقيا .

وترتب على زوال سلطنة المماليك نتائج ايجابية هامة : فلقد دخل الحجاز سلميا فى طاعة العثمانيين ، وأرسل الشريف بركات — أمير مكة — ابنه الى السلطان العثمانى بالقاهرة لتهنئته بفتح مصر ، وقدم له هدايا فاخرة ، فسر السلطان بذلك ، وثبت والده فى حكم مكة وما حولها من مناطق ،(٩٣) وبذلك نال سليم الأول شرف خدمة الحرمين الشريفين ، وأضيف الى القاب العثمانيين لقب « خادم الحرمين الشريفين » .

ومن جهة أخرى ، أمر السلطان العثمانى الخليفة « المتوكل على الله » — آخر الخلفاء العباسيين بالقاهرة — بالسفر الى استانبول فى شهر جمادى الأولى سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م ،(٩٤) وبسفره انقطعت

---

(٩١) ابن اياس : بدائع الزهور .. مصدر سبق ذكره ، ج ٥ ص ص ٦٧-٧٧ ، ابن زنبل الرمال : آخرة المماليك .. مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢٧ — ٣١ .

(٩٢) ابن اياس : المصدر السابق ، ج ٥ ص ص ١٤٤-١٤٦ .

(٩٣) المصدر السابق ، ج ٥ ص ص ١٩٠-١٩٣ .

(٩٤) نفس المصدر ، ج ٥ ص ١٨٤ .

الخلافة العباسية من القاهرة الى الأبد(٩٥) ، وفقدت مصر — بالتالى — زعامتها الدينية للعالم الاسلامى ، وانتقلت هذه الزعامة الدينية الى عاصمة العثمانيين « استانبول » ، وحاز سلاطين آل عثمان لقب « خليفة » و « أمير المؤمنين » ، (٩٦) وعدت عاصمتهم عاصمة العالم الاسلامى كله .

وعلى الرغم من كل هذه الانتصارات المظفرة التي حققها السلطان سليم الاول ، واتساع ممتلكات الدولة العثمانية في عهده ، وانفرادها بخلافة وقيادة العالم الاسلامى — بعد زوال دولة المماليك — كان الصفويون الشغل الشاغل ، والشوكة التى أرقت مضجع السلطان العثمانى ، فبعد أن حقق سليم الأول انتصاراته السابقة الذكر ، كان يدبر ويخطط لاستئناف القتال ضد الصفويين مرة ثانية حتى يتم له استئصال شأفتهم .(٩٧)

وكان الدعاء على الصفوى — فى المساجد الكبرى فى استانبول ودمشق والقاهرة — من الواجبات الدينية التى ألقيت على عاتق العلماء والفقهاء والصالحين، ونسوق مثالا على ذلك ، قول ابن طولون الصالحى فى حوادث شهر ذى القعدة سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م : « وفى يوم الثلاثاء ، رابع عشرينه ، شرعت الأروام — يقصد العثمانيين — فى

(٩٥) أقيمت الخلافة العباسية فى القاهرة — في عهد السلطان الظاهر بيبرس — سنة ٦٥٩هـ—١٢٦١م .

(٩٦) دكتور : محمد حرب : كتب الفتوح العثمانية .. مرجع سبق ذكره ، ص ٢١٨ .

(٩٧) الاسحاقى (محمد بن عبدالمعطى) : لطائف أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول ، المطبعة العثمانية بالقاهرة سنة ١٣٠٤هـ ص ١٤٧ .

قراءة سورة الأنعام ، تحت قبة المنبر بالجامع الأموى — فى دمشق — .. واذا وصلوا الى بين الجلالتين دعوا على الصوفى — الصفوى — .. واستمروا على ذلك أربعين نهارا وهم نحو الثلثمائة وستين نفسا ، وأرساوا الى مدرسة أبى عمر بالصالحية يقرأونها كذلك »(٩٨) .

ثالثا : نجم عن زوال دولة سلطنة المماليك ودخول مصر تحت السيطرة العثمانية ، أن وقع على كاهل العثمانيين عبء مقاومة الغزو الصليبى الذى كان البرتغاليون فى طليعته ، فلقد ألهب سقوط القسطنطينية — عاصمة الامبراطورية البيزنطية المسيحية — فى يد العثمانيين سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م ، الروح الصليبية التى لم تهدأ قط فى أوربا ، وانطلقت عاتية فى شبه جزيرة ايبريا « البرتغال وأسبانيا » ، التى خرجت منها المحاولات الأولى الناجحة فى مهاجمة جناح المسلمين فى الخلف على متن البحار . بعد أن أثبتت التجارب مناعة الاسلام فى البر ، فكان أن اكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح ، وذلك حتى تصاب بلاد العالم الاسلامى بالشلل فى اقتصادياتها ، ونجحوا فى تحويل طريق التجارة من منطقة العالم الاسلامى (الشام ومصر) ، الى طريقهم الجديد المكتشف بالدوران حول افريقيا ، خاصة بعد أن أوقعوا بالأسطول المملوكى فى معركة « ديو » البحرية سنة ٩١٥ هـ (١٥٠٩ م) .(٩٩)

وحين امتلك العثمانيون الشام ومصر والحجاز واليمن ، وسيطروا على الطرق التجارية القديمة ، حاولوا — متأخرين — دفع عائلة

---

(٩٨) ابن طولون : مفاكهة الخلان .. مصدر سبق ذكره ، القسم الثانى ، ص ٧٤-٧٥ .

(٩٩) دكتور : زاهر رياض : استعمار افريقية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة سنة ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م ، ص ٢٧ .

البرتغاليين عن هذه المناطق ، فأرسلوا حملة حربية بحرية ، أقلعت من السويس بقيادة سليمان باشا الخادم سنة ٩٤٥ هـ/١٥٣٨م ، ولكنها فشلت فى القضاء على غائلة البرتغاليين(١٠٠) ، واكتفى العثمانيون بجعل البحر الأحمر بحرا اسلاميا مغلقا فى وجه السفن المسيحية(١٠١) .

وفى الوقت الذى حاول فيه العثمانيون الدفاع عن العالم الاسلامى ضد الخطر الصليبى فى البحار الشرقية ، كان الشاه اسماعيل الصفوى دائب البحث عن حلفاء له ضد الدولة العثمانية الدولة التى أصبحت القوة الكبرى التى تحول بينه وبين تحقيق أطماعه وأغراضه ، فسول له حقده التحالف مع البرتغاليين — أشد القوى خطرا على العالم الاسلامى حينذاك — ، ومع أن ملك « هرموز » — الجزيرة الصغيرة فى الخليج العربى والتى أضيرت اقتصادياتها بمجىء البرتغاليين — قد وضع نفسه تحت سيادة الشاه ، أملا الأخير ينقذه من سطوة البرتغاليين المريعة ، الا أن الشاه وضع مصالحه الخاصة ، وحقده الشديد على العثمانيين فى مقدمة أية تسوية ، فلا غرو أن وافق على أن تظل هرموز تحت سيطرة البرتغاليين مقابل وقوفهم معه ضد العثمانيين ، وكانت النتيجة أن

---

(١٠٠) النهر والى المكى (قطب الدين محمد بن أحمد) : البرق اليمانى فى الفتح العثمانى ، الطبعة الأولى ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م ص ص ٨٠-٨٤ .

(١٠١) دكتور : السيد محمد الدقن : دراسات فى تاريخ الدولة العثمانية ، القاهرة ١٩٧٩م ، ص ٦٥ ، وكانت ذريعة العثمانيين فى اغلاق البحر الاحمر فى وجه السفن المسيحية خوفهم على الأماكن المقدسة فى بلاد الحجاز ، بسبب اعتداءات البرتغاليين المتكررة على الموانىء الاسلامية المطلة على البحر الأحمر (انظر : دكتور : عبدالعزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية .. مرجع سبق ذكره : ج ٢ ص ص ٦٩٨-٦٩٩) .

ساعدت سياسة الشاه – هذه – فى تقوية التسلط البرتغالى على الخليج العربى ،(١٠٢) ، وهكذا كانت سياسة الشاه اسماعيل ، وظلت سياسة من ولى بعده من شاهات .

رابعا : ولعل أهم النتائج التى تمخض عنها الصراع العثمانى الصفوى ، أن الصفويين كانوا معول هدم فى مسيرة الفتوحات الاسلامية العثمانية فى أوربا ، والتى رفع لواءها العثمانيون منذ عهد السلطان محمد الفاتح ، اذ دأبوا على اثارة القلاقل والمتاعب فى وجه العثمانيين كلما أرادوا قيادة الجيوش الى أوربا ، لتحويلها من « دار حرب » الى « دار اسلام » ولعل أصدق دليل على ذلك ، انهم كانوا سببا فى هدوء الجبهة الأوربية فى عهد السلطان سليم الأول ، الذى اضطر الى عقد معاهدات الصلح والهدنة مع القوى السياسية الأوربية المجاورة والمتاخمة له ، كما أنه لم يكن – وهو المعروف بقسوته وصلابته – مصدر متاعب للحكام المسيحيين الذين يدينون بالولاء للدولة، ولم يطلب من أحد منهم زيادة الجزية ، وارتضى – كرها – قبول الأمر الواقع ، وران الهدوء على الجبهة الاوربية ، لأنه وجه طاقات جيشه ضد الفرس فى معركة جالديران ، وما نتج عنها من استيلاء على الامارات الحدودية ، ثم القضاء على سلطنة المماليك والاستيلاء على الشام ومصر والحجاز واليمن ،(١٠٣) وعلى ذلك ، جاز السلطان سليم الأول الى ربه سنة

---

(١٠٢) دكتور : عبدالعزيز سليمان نوار : الشعوب الاسلامية ، بيروت ١٩٧٣م ، ص ٢٢٦ .

(١٠٣) دكتور : عبدالعزيز محمد الشناوى : أوربا فى مطلع العصور الحديثة .. مرجع سبق ذكره ص ٦٨١ .

٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م دون أن يخوض معركة واحدة ضد الدولة المسيحية فى أوربـــا .

وحين تولى السلطان سليمان المشرع (٩٢٦ هـ ــ ٩٧٤ هـ/ ١٥٢٠ ــ ١٥٦٦ م) وجه جل همه لتحقيق هدفين جعل لهما الأولوية في برنامج حكمه ، هما : الاستيلاء على بلجراد ، تمهيدا للانسياح فى بـــلاد المجر وصولا الى قلب أوربا ، ثم التوغل فى أقاليم أوربا الغربية ، أما الهدف الثاني : فكان انتزاع جزيرة رودس من فرســان « الاسبتارية » أو فرسان القديس يوحنا ، الذين دأبوا على الاعتداء على السفن والشواطىء الاســلامية .(١٠٤)

وبينما كان الجيش العثمانى ــ بقيادة السلطان سليمان المشرع ــ يحقق انتصــارات متتاليــه على الأوربيين فى عقــر دارهم ، وجدنــا الصفويين ــ فى عهد الشــاه طهماسب الأول ٩٤٠ ــ ٩٨٤ هـ/ ١٥٢٥ ــ ١٥٧٦ م ــ يستولون على مدينة بغــداد ــ التى أطلق العثمانيون عليها « برج الاولياء »(١٠٥) ــ ويعتدون على حدود الدولة العثمانية الشرقية والجنوبية ، ويحرضون العشائر التركمانية وبعض حكام ولايات الحدود على الثورة ضد العثمانيين ، وتمادوا فى غيهم وضلالهم فتحالفوا مع ملك المجر ضد السلطان سليمان المشرع ،(١٠٦) وحين أدرك سليمان

---

(١٠٥) جلال زاده مصطفى جلبى (مؤرخ عثمانى ت ٩٧٥هـ ـ ١٥٦٧م) : طبقات الممالك ودرجــات المسالك : نقــلا عن دكتور : محمد حرب : كتب الفتوح العثمانية .. مرجع سبق ذكره ، ص ٢٢٣ .

(١٠٦) القرمانى : أخبار الدول .. مصدر سبق ذكره ، ص ٣١٠ ، ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمة .. مرجع سبق ذكره ، ص ص ٨٧ ــ ٨٩ .

خطورة الموقف اضطر لترك جبهة الجهاد في أوربا ــ مؤقتا ــ وقاد الجيش العثماني الى جهة الشرق ، وخاضت الدولة ــ فى عهده ــ ثلاثة حروب ضد الصفويين فى بلاد فارس ، فى سنة ٩٤١ هـ / ١٥٣٤ م ، وسنة ٩٥٥ هـ / ١٥٤٨ م ، وسنة ٩٦٠ هـ / ١٥٥٣ م .(١٠٧)

وفى عهد السلطان سليم الثانى (٩٧٤ ــ ٩٨٢ هـ / ١٥٦٦ ــ ١٥٧٤ م) أحرزت الدولة العثمانية انتصارات عظيمة وسريعة فى الجبهة الأوربية ، وانصرفت بعض الشىء عن الجبهة الاسلامية الشرقية ، فما كان من الصفويين الا أن شرعوا فى تكرار هجومهم وعدوانهم على العثمانيين، ومحاولة أبعادهم وصرفهم عن مهمتهم الرئيسية باعادة أمجاد المسلمين الأولى ونشر الاسلام فى قلب أوربا ، فاضطر العثمانيون فى عهد السلطان مراد الثالث (٩٨٢ ــ ١٠٠٣ هـ / ١٥٧٤ ــ ١٥٩٥ م) الى ترك الجبهة الأوربية وتولية وجههم شطر الصفويين خاصة أن الشاه عباس الأول ــ خامس شاهات الصفويين ــ (٩٩٥ ــ ١٠٣٨ هـ /

---

(١٠٧) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية .. مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٣٢ــ٢٤٠ ، جدير بالذكر أن السلطان سليمان المشرع بعد أن دخل بغداد سنة ٩٤١هــ١٥٣٤م قام برحلة فى أنحاء العراق ، زار خلالها الكثير من أضرحة الشيعة ، وأوقف مقاطعات ذات ريع وفير للانفاق على المقاصد الدينية ، الشيعة والسنية على السواء ، وزار العتبات المقدسة فى الفرات الأوسط ، وبنى سد السليمانية بكربلاء لحمايتها من أخطار الفيضان ، ثم زار قبر الامام على فى النجف ، وفى نفس الوقت الذى كان يعمل فيه على ارضاء مشاعر الشيعة ، كان يعمل على ارضاء مشاعر السنة ، حتى لا يسىء الى أى طرف من الطرفين (انظر : القرمانى : مصدر سبق ذكره ، ص ٣٢٠ دكتور : عبدالعزيز سليمان نوار : تاريخ العراق الحديث .. مرجع سبق ذكره ، ص ٧) .

١٥٨٧ ـ ١٦٢٨ م) قد ألقى بنفسه فى أحضان الانجليز ، فنظموا له جيشا تمكن به من استرداد بعض الولايات الغربية التى استولى عليها العثمانيون(١٠٨) .

وهكذا ظلت الحروب مستعرة الأوار بين الدولتين المسلمتين ـ العثمانة والصفوية ـ ، حتى زالت الأخيرة من الوجود على يد السلطان محمود ابن أويس الأفغانى سنة ١١٣٥ هـ / ١٧٢٢ م ،(١٠٩) وانتقلت من مسرح التاريخ الى كتبه .

ولا يختلف اثنان على أثر هذه الحروب المتواصلة ؛ فى انهاك قوى الدولتين وتبديد طاقاتهما، بينما كانت قوى العالم الاسلامي تزدادضعفا على ضعف ، كانت الدول الأوربيه الفتية ، مثل : انجلترا ، وفرنسا ، وهولندا ، وألمانيا ، وروسيا ، تزداد قوة وطموحا ، وتزداد صناعتها تقدما وازدهارا ، وخرجت تبحث عن المواد الخام اللازمه لصناعتها ، وعن أسواق لتصريف منتجاتها ، ولم يكن أمام الدول الاستعمارية صيدا أسمن ولا أسهل من بلاد المسلمين الغنية التى أنهكتها الحروب الداخلية المتواصلة ، الأمر الذى نجم عنه تفوق الغرب المسيحى فى العدد والقوة، وتراجع المسلمون على أعقابهم ، بعد أن كان لهم تفوق فى هذا المجال طوال العصور الوسطى .

---

(١٠٨) دكتور : أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية .. مرجع سبق ذكره ، ج٢ ص ٥٤٥ ، ٥٤٦ .

(١٠٩) المرجع السابق ، ج ٢ ص ٥٤٩ .

مصادر ومراجع البحث

أولا : المخطوطات :

بكرى (شمس الدين محمد بن أبى السرور البكرى ، ١٠٨٧هـ) .

١ ـ المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية ، مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ١٩٢٩ تاريخ ، ميكروفيلم رقم ١٠٥٤٨ .

ابن الحمصى (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الانصارى ، ٩٣٤هـ) .

٢ ـ حوادث الزمان وأنباؤه ، مخطوط مصور عن مكتبة رفاعة الطهطاوى بسوهاج بمعهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٤٢٠ تاريخ .

طاش كبرى زاده (أحمد بن مصطفى بن خليل ، ت ٩٦٨هـ) .

٣ ـ الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية ، مخطوط بمكتبة رفاعة الطهطاوى بسوهاج ، رقم ١٥٠ تاريخ .

القلعاوى (مصطفى بن محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الصفوى ، ت ١٢٣٠هـ) .

٤ ـ صفوة الزمان فيمن تولى على مصر من أمير وسلطان ، مخطوط بمكتبة الطهطاوى بسوهاج ، رقم ٥١ تاريخ .

ثانيا : المصادر المطبوعة :

الاسحاقى (محمد بن عبدالمعطى بن أبى الفتح بن أحمد بن عبدالغنى ، ت ١٠٦٠هـ) .

٥ ـ لطائف أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول ، المطبعة العثمانية بالقاهرة سنة ١٣٠٤هـ .

ابن اياس (محمد بن أحمد الحنفى ، ت ٩٣٠هـ) .

٦ ـ بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، خمسة أجزاء طبعة مصورة عن الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة سنة ١٤٠٢ـ١٤٠٤هـ (١٩٨٢ـ١٩٨٤م) .

ابن زنبل الرمال (أحمد بن أبى الحسن على بن نورالدين المحلى الشافعى ، ت بعد سنة ٩٧٤هـ) .

٧ ـ آخرة المماليك (واقعة السلطان الغورى مع سليم العثمانى) ، تحقيـــق عبدالمنعم عامر ، بسلسلة كتب ثقافيـــة ، القاهـــرة سنة ١٩٦٢م ٠

ابن طولون الصالحى (شمس الدين محمد بن على بن أحمد ، ت ٩٥٣هـ) ٠

٨ ـ مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان ، تحقيق محمد مصطفى، قسمان ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٨١ـ ١٣٨٤هـ (١٩٦٢ـ١٩٦٤م) ٠

الغزى (نجم الدين بن بدرالدين بن أحمد ، ت ١٠٦٠هـ) ٠

٩ ـ الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، تحقيق دكتور : جبرائيل سليمان حبور ، ثلاثة أجزاء ، الطبعة الثانية ، بيروت سنة ١٩٧٩م ٠

القرمانى (أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى ، ت ١٠١٩هـ) ٠

١٠ ـ أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ـ بيروت ١٢٨٢هـ ٠

ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى ، ت ٧١١هـ) ٠

١١ ـ لسان العرب ، تحقيق عبدالله الكبير وآخرين ، ستة أجزاء دار المعارف ، القاهرة سنة ١٤٠١هـ ـ١٩٨١م ٠

النهراوالى (قطب الدين أحمد بن محمد المكى ، ت ٩٩٠هـ) ٠

١٢ ـ البرق اليمانى فى الفتح العثمانى ، الطبعة الأولى ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض سنة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م ٠

ثالثا : المراجع الحديثة :

ابراهيم بك حليم :

١٣ ـ التحفة الحليمية فى تاريخ الدولة العلية ٠
الطبعة الاولى ، القاهرة سنة ١٢٣٢هـ ـ١٩٠٥م ٠

أحمد السعيد سليمان (دكتور) :

١٤ ـ تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ٠
جزءان ، دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٧٢م ٠

١٥ ـ تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل ٠
دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٧٩م ٠

أحمد شوقى بك :
أربعة أجزاء، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة سنة ١٩٧٠م ٠
١٦ ـ الشوقيات :

زاهر رياض (دكتور) :
١٧ ـ استعمار افريقية ٠
الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة سنة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م

السيد محمد الدقن (دكتور) :
١٨ ـ دراسات فى تاريخ الدولة العثمانية ٠
القاهرة سنة ١٩٧٩م ٠

عبدالعزيز سليمان نوار (دكتور) :
١٩ ـ تاريخ العراق الحديث ٠
دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة سنة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م ٠
٢٠ ـ الشعوب الاسلامية ٠
بيروت سنة ١٩٧٣م ٠

عبدالعزيز محمد الشناوى (دكتور) :
٢١ ـ أوربا فى مطلع العصور الحديثة ٠
دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٦٩م ٠
٢٢ ـ الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ٠
أربعة أجزاء ، الأنجلو المصرية ، القاهرة سنة ١٩٨٠ ـ ١٩٨٣م ٠

عبدالكريم رافق (دكتور) :
٢٣ ـ مصر والشام من الفتح العثمانى الى حملة نابليون بونابرت ١٥١٦ ـ ١٧٩٨م ٠ دمشق سنة ١٩٦٨م ٠

عبدالمنعم ماجد وعبدالمحسن رمضان .

٢٤ ـ جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها .
القاهرة سنة ١٩٨٠م .

محمد فريد بك : ـ

٢٥ ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية .
تحقيق الدكتور : احسان حقى ، الطبعة السادسة ، بيروت سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

مصطفى محمد رمضان (دكتور) :

٢٦ ـ العالم الاسلامى فى التاريخ الحديث والمعاصر .
القاهرة سنة ١٩٨٣م .

٢٧ ـ مصادر تاريخ مصر الحديث .
القاهرة سنة ١٩٨٣م .

نعيم زكى فهمى (دكتور) :

٢٨ ـ طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى) .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة سنة ١٩٧٣م .

هاملتون جب ، وهارولد بووين :

٢٩ ـ المجتمع الاسلامى والغرب .
تحقيق الدكتور : أحمد عبدالرحيم مصطفى ، جزءان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة سنة ١٩٩٠م .

رابعا : الدوريات :

محمد حرب (دكتور) :

٣٠ ـ كتب الفتوح العثمانية وأهميتها فى كتابة تاريخ منطقة الخليج العربى والجزيرة العربية .
بحث منشور فى مجلة رسالة الخليج العربى ، العدد الثامن عشر ، السنة السادسة ، الرياض سنة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

خامسا : الرسائل العلمية :

أبو وردة عبدالوهاب السعدني (دكتور) :

٣١ ـ ابن اياس ومنهجه فى كتابه بدائع الزهور فى وقائع الدهور ٠
رسالة ماجستير ، اشراف الأستاذ الدكتور : السيد محمد الدقن، اجيزت بتقدير ممتاز من كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة سنة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ٠

اعـــداد
الدكتور ابو ورده عبدالوهاب عطيه السعدنى
مدرس التاريخ والحضارة
بكلية اللغة العربية بأسيوط